﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩﴾ [النّحل: 68 - 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

وله في كلّ ما دقّ ورقّ دلائل قدرةٍ لها القلوب ترقُّ

لمّا ذَكر سبحانه إنزال الماء مِن السَّماء، وإخراج اللَّبن مِن بين فرْثٍ ودَمٍ، واستخراج السَّكر والرِّزق الحسَن مِن ثمرات النَّخيل والأعناب؛ ذَكر العسَل الذي يخرج من بطون حشرةٍ ضعيفةٍ ألهمَها وألقى في روعها وعلَّمها بوجهٍ لا يعلمه إلّا هو سبحانه؛ حيث إنَّها جميعًا أشربةٌ تخرج من جسومٍ مختلفةٍ، وفي طرائق خروجها واستخلاصها جميعًا ما يدلُّ على عظَمَة الخالق البديع سبحانه وتقدَّست أسماؤه، ولمّا ذَكر الأنعام والأشجار والثِّمار؛ ذَكر النَّحل والعسَل؛ حيث إنَّها جميعًا من احتياجات البشر، وفي صميم ذواتهم، فهم أشدُّ حساسيَّة بها، وأعمق تأثُّرًا واستجابةً لها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَوۡحَىٰ﴾: الوحْي: الإلهام، والكلام الخفيُّ، وكلُّ ما تُلقيه إلى غيرك[2]، وهو إلقاءٌ في الرّوع أو إلهامٌ، نحو: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]، أو تسخيرٌ، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾، أو بالمنام، كقوله ﷺ: لم يبق مِنَ النُّبوة إلّا المُبشرات،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 405، والرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 236، والخازن، لباب التأويل: 3/ 86، والبقاعي، نظم الدرر: 11/ 196.

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (وحي).

الرُّؤيا الصّالحة[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: 15]، بمعنى الإلهام[2].

2) ﴿ٱلنَّحْلِ﴾: النَّحْلُ: ذُبابُ العسَل[3]، واحده نحلَة، وتُطلَق على الذَّكر والأنثى، يقال: نَحلَةٌ ذَكَر، ونَحلَةٌ أنثى[4]، ومعناه المحوريُّ: "طَيِّبٌ يحوزه الباطن، يُفرَز أو يُبذل إلى حوزةٍ أخرى، كما يُخرِج النَّحلُ عسلَه فيُحاز"[5]، وسُمِّي النَّحلُ نحلًا لأنَّ اللّه نَحَل النّاسَ - أي: أعطاهم ومنحهم - العسَلَ الذي يخرج من بطون النَّحل[6].

3) ﴿يَعْرِشُونَ﴾: العَرْش في كلام العرَب: سرير المَلِك، يدلُّ على ذلك سريرُ بلقيس ملكة سبأ، ومنه في كلام العرَب أيضًا: عرشُ البيت: سَقْفُه[7]، وأصل العرش: شيءٌ مُسَقَّف، وجمعه عروش[8]، تقول: عَرَش يعرُش ويعرِش عرشًا، أي: بنى بناءً من خشب[9]، وبهذا المعنى جاء قول اللّه تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾. "يعني: يبنون"[10].

4) ﴿فَٱسْلُكِى﴾: السُّلوك: مصدر سَلَكْتُ الطَّريقَ، وسَلَكْتُ المكانَ أسلُكُه سَلْكًا وسُلوكًا[11]، وهو: النَّفاذُ في الطَّريق[12]، والمَسْلَك: الطَّرِيق[13]، وجذره يدلُّ على أصلٍ واحدٍ يدلُّ على "نفوذ شيءٍ في شيءٍ"[14].

5) ﴿سُبُلَ﴾: السَّبيل: الطَّريق الَّذي فيه سهولةٌ وما وضُح منه، يُذَكَّر ويؤنَّث، وجمعُه:

(1) الراغب، المفردات والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وحي).
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/ 142، والآلوسي، روح المعاني: 6/ 389.
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نحل).
(4) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، صحاح اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نحل).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نحل).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نحل).
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (عرش).
(8) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (عرش).
(9) الجوهري، الصحاح: (عرش).
(10) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 3/ 86.
(11) ابن منظور، لسان العرب: (سلك).
(12) الراغب، المفردات: (سلك).
(13) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (سلك).
(14) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلك).

سُبُل[1]، وأصله من "امتداد الشَّيء طولًا، فالسَّبيل الطَّريق، سُمِّي بذلك لامتداده[2]، ويُطلَق السَّبيل أيضًا على المذهب، والطَّريقة في الدِّين، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ [العنكبوت: 12]، أي: طريقتنا في ديننا[3]، ويأتي بمعنى الطَّريق الحقِّ، كما في قوله تعالى: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: 37]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ [النَّحل: 9][4].

6) ﴿ذُلُلًا﴾: الذُّلُّ ضدُّ العزِّ، وهو ما كان عن قَهر[5]. يُقالُ: ذلَّ يذِل ذُلًّا، فهو رَجُلٌ ذليلٌ بيِّن الذُّلِّ والذِّلَّة والمَذَلَّة، وجمعه أذلّاء وأذِلَّة[6] والذِّلُّ بالكسر: اللِّين والطَّواعية والانقياد، وهو ما كان بعد صعوبةٍ وشِماس[7]. يُقالُ: ذلَّ يذِلُّ ذِلًّا، فهو ذلول، ويكون وصفًا للإنسان والدّابَّة، والذَّكر والأنثى فيه سواء، وجمع الذَّلول ذُلُل[8]، وهذا الجذر (ذلل)، يدلُّ على أصلٍ واحدٍ، وهو: "الخضوع والاستكانة واللِّين"[9].

7) ﴿شَرَابٌ﴾: شَرِب الماءَ وغيره يَشْرَب شَرْبًا وشُرْبًا، وهو: تناولُ كلِّ مائع بالفَم من ماءٍ وغيره[10]، والشَّراب: اسمٌ لكلِّ ما يُشرَب، وهو: كلُّ شيءٍ لا يُمضَغ فإنَّه يُقالُ فيه يُشرَب[11]، وجمع الشَّراب: أشرِبَة[12].

8) ﴿شِفَآءٌ﴾: الشِّفاء: الدَّواء، وأصله البُرءُ مِنَ المَرض، ثمَّ وُضِع موضع العلاج والدَّواء، وجمعُه: أشفية، وجمع الجَمع: أشافٍ[13]، وشفاه اللّهُ مِن مرضه يشفيه شفاءً: أبرأه، واستشفى فلانٌ: طلَبَ الشِّفاء[14].

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المجمل، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبل).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 330، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سبل).
(4) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(5) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ذل).
(6) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ذل).
(7) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (ذل).
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، (ذل).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذل).
(10) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (شرب).
(11) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (شرب).
(12) الراغب، المفردات: (شرب).
(13) ابن منظور، اللسان، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، والزبيدي، تاج العروس: (شفي).
(14) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، وابن منظور، اللسان، والزبيدي، تاج العروس: (شفي).

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

مظاهر قدرة الله تتجلَّى في تعدُّد ألوان عسل النَّحل وخلاياه

وألهَم ربُّك يا محمَّد -ﷺ- النَّحلَ إيحاءً إليها أنِ اتَّخذي مِنْ كهوف الجبال أوكارًا ومساكن تأوين إليها ومِن فجوات الشَّجر وممّا يبني النّاس من المنازل ويهيئون، ثمَّ كُلي مِنْ كلِّ ثمرةٍ تشتهينها، وادخلي طُرُقَ ربِّك مهيَّأةً ومذلَّلَةً لك دون تعسُّرٍ أو نسيانٍ بحثًا عنِ الثَّمرات، يخرج من بطونها عسَلٌ مُختلفٌ ألوانه ما بين أبيض وأصفر وأسود وأحمر، فيه غذاءٌ ودواءٌ للنّاس، إنَّ في ذلك الصُّنع والإحكام العجيب لعلامةً واضحةً لقومٍ يتفكَّرون في بدائع صُنْعِ الله فيعتبرون[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة عطف الآيتين على ما تقدَّمهما:

آيـاتٌ بعد آيات ودلائلُ واضحاتٌ، تُبرهن على أحَديَّة ربِّ الأرض والسَّماوات

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ معطوف على قوله ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ الآية، عطْفَ عِبرةٍ على عِبرةٍ، ومِنَّةٍ على مِنَّة[2]؛ لتتساوَق الدَّلائل على عجائب صنعته تعالى وبدائع قُدرَته[3]، وهذا هو ما حسَّن الوصل هنا دون الفَصْل، فكأنَّها درَرٌ ناصعةٌ، ولآلئ مُتتابعةٌ، انتظمها خيطٌ متينٌ مِنَ التَّدليل على مظاهر القُدرة، وبراهين الوحدانيَّة.

نكتة تغيير أسلوب التَّذكير بالنِّعم:

في العدول عن أسلوب الاعتبار كبير دليلٍ على عظَمَة صُنْعِ الواحد القهّار

غيّر أسلوب الاعتبار في هذه الآية عن سابقاتها؛ لِما في هذه العِبرة مِن تنبيهٍ على عظيم حكمة الله تعالى إذ أودعَ في خِلقةِ الحشرة الضَّعيفة هذه الصَّنعة العظيمة وجعل فيها هذه المنفعة، كما أودع في الأنعام ألبانها، وأودع في ثمرات النَّخيل والأعناب

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 286، والبغوي، معالم التنزيل: 5/ 29، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 499، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 3/ 233.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 331.

شرابًا، وكان ما في بطون النَّحل وسطًا بين ما في بطون الأنعام وما في قلب الثِّمار، فإنَّ النَّحل يمتصُّ ما في الثَّمرات والأنوار مِنَ الموادِّ السُّكَّريَّة العسَليَّة ثمَّ يخرجه عسلًا، كما يَخرج اللَّبن مِن خلاصة المرعى، وفيه عِبرةٌ أخرى، وهي أنْ أودع الله في ذبابة النَّحل إدراكًا لصُنعٍ محكَم مضبوطٍ مُنتِجٍ شرابًا نافعًا لا يحتاج إلى حَلْبِ الحالب؛ لذلك افتُتحت الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾[1].

دلالة الفعل ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ مادَّةً وصيغةً:

الإيحاء إلى الحشرة دليل حِكمةٍ وقُدرَة

إطلاق الوحي استعارةٌ تمثيليَّة[2]، فدِقَّتها في صنعتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يُصْلحها، دلائل بيِّنةٌ شاهدةٌ على أنَّ الله أودعها عِلْمًا بذلك وفطَّنها، كما أولَى أولِي العقول عقولهم[3].

وافتُتِحت الجملة الكريمة بفعل ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ دون أنْ تفتتح باسم الجلالة مثل جملة ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ﴾؛ لِما في ﴿وَأَوْحَىٰ﴾ من الإيماء إلى إلهام تلك الحشرة الضَّعيفة تدبيرًا عجيبًا وعملًا مُتقنًا وهندسةً في الجِبلَّة، فكان ذلك الإلهامُ في ذاته دليلًا على عظيم حكمة الله تعالى فضلًا على ما بعده من دلالةٍ على قُدرة الله تعالى ومِنَّةٍ منه سبحانه[4].

دلالةُ الإضافة في قوله ﴿رَبُّكَ﴾:

في العسل شفاءٌ لِمَن طَعِمه، وفي القرآن شفاءٌ لِمَن آمن به

أوثِر استعمالُ لفظِ الرُّبوبيَّة، وأُضيفَ الإيحاء إلى الرَّبِّ سبحانه لأنَّ ذلك الوحي فيه فائدةٌ ونِعمةٌ ورِزقٌ للإنسان، ووَصْفُ الرُّبوبيَّة أليق بالإنعام، وفي الإضافة تشريفٌ للمُخاطب.

سرُّ تعدية الإيحاء بـ ﴿إِلَى﴾:

وحي الله إلى النَّحل كان بطريق الإلهام

تَعدَّى الإيحاء بـ﴿إِلَى﴾ دون (اللّام) لأنَّ تعدية فِعل الإيحاء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.
(3) الزمخشري، الكشاف: 2/ 618، والطيبي، فتوح الغيب: 9/ 154، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 559.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 204.

بـ﴿إِلَى﴾ يفيد معنى الإلهام، وهو المناسب للإيحاء وما عُنِي به في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾[1].

نوع (اللّام) في ﴿ٱلنَّحۡلِ﴾ ودلالتها:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ هي الجنسيَّة التي تفيد استغراق جميع أفراد جنس النَّحل[2]، إذ كلُّها داخلة تحت مظلَّة هذا الوحي الإلهاميِّ، وفي هذا ما فيه من بديع الدِّلالة على قُدرة اللّه في خَلْق العوالم، وتسخيرها.

ائتمرت جميع أفراد النَّحل بأمر الله ووحي إليها، فما بال الكافرين معرضين

دلالة (أن) في قوله ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾:

﴿أَنِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي﴾ هي التَّفسيريَّة؛ لأنَّ الوحي في معنى القول، وما بعدها تفسيرٌ لما قبلها، وهي ترشيحٌ للاستعارة التَّمثيليَّة التي في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ﴾؛ لأنَّ (أن) التَّفسيريَّة مِن روادف الأفعال الدّالَّة على معنى القول دون حروفه[3].

أمرُ الله المُلهِم للنَّحل هو اتِّخاذها بيوتًا من الجبال وغيرها

غرضُ التَّعبير بالأمر ﴿ٱتَّخِذِي﴾:

الأمر في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخِذِي﴾ للتَّسخير وهو مجازٌ، علاقته المشابهة بينه وبين الأمر في مُطلَق الإلزام[4].

ليس للنَّحل إلّا الانقياد لأمر الله تعالى

بلاغة التَّأنيث في ضمير الخطاب:

تأنيث الضَّمير في قوله ﷻ: ﴿ٱتَّخِذِي﴾ لأنَّ النَّحل جمع نحلة[5]؛ فناسبه التَّأنيث.

النَّحل واحده نحلة

دلالة حرف الجرِّ في الآية الكريمة:

﴿مِنَ﴾ الدّاخلة على الجبال في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِبَالِ﴾ وما عُطِف عليها من الشَّجَر وممّا يعرشون بمعنى (في)، وأصلها (مِن)

بيوت النَّحل تكون في جزءٍ من الجبال وغيرها

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (وحي).
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 420.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4214.
(4) حسن عبد الرازق، البلاغة الصافية، ص: 199، وعبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص: 82.
(5) ابن كمال باشا، التفسير: 6/ 63.

الابتدائيَّة، فالتَّعبير بها دون (في) الظَّرفيَّة لأنَّ النَّحل تبتني لنفسها بيوتًا ابتداءً في بعض جحور الجبال وبعض أغصان الشَّجَر وبعض العريش، ولا تجعَل بيوتها جحور الجبال كلِّها ولا أغصان الشَّجر كلِّها ولا أعواد العريش الحاضرة كلِّها كما هي دون ابتناءٍ منها؛ إذ لا يتهيَّأ لها ذلك في كلِّ جبَلٍ ولا شجَر[1].

نوع (اللّام) في ﴿ٱلۡجِبَالِ﴾:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡجِبَالِ﴾ هي الجنسيَّة، فتشمل جميع جنس الجبال، وفي هذا إشارة إلى رحمة الله تعالى إذ جعل كلَّ جبلٍ مظنّةَ أن يكون فيه بيتٌ للنَّحل، فينعم النّاس في أقطار الأرض بعسَله.

كلُّ الجبال مظنَّةٌ لاتِّخاذ النَّحل فيها مساكن وبيوتًا وهذا مِن رحمة الله

غرضُ تقديم ﴿مِنَ ٱلۡجِبَالِ﴾ على المفعول:

قُدِّم قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِبَالِ﴾ على المفعول به ﴿بُيُوتًا﴾ للاهتمام بالمقدَّم؛ ذلك أنَّ الله تعالى حدَّد لها أماكن البيوت وحجَرها عليها، فلم يوسِّع لها في اتِّخاذ البيوت كما وسَّع لها في الأكل.

للنَّحل أماكن محدَّدةٌ في السَّكن، أمّا في الأكل فلا

غرض تنكير ﴿بُيُوتًا﴾ وجمعها:

جاءت كلمة ﴿بُيُوتًا﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا﴾ نكرةً لغرض النَّوْعيَّة؛ إذ إنَّ بيوت النَّحل لا تشبه بيوت المخلوقات الأُخرى، فإنَّها تبني بيوتًا بنظامٍ دقيق، ثمَّ تقسِّم أجزاءها أقسامًا متساويةً بأشكالٍ مسدَّسةِ الأضلاع بحيث لا يتخلَّل بينها فراغٌ تنساب منه الحشرات، وجاءت كلمة (النَّحل) مجموعةً لغرض التَّكثير، وفي التَّكثير مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بالخَلْق؛ إذ لم يجعل بيوت النَّحل قليلةً، ولا شرابه نادرًا، بل هو كثيرٌ مُتاحٌ للنّاس.

كثرة مساكن النَّحل وشرابه دليلُ رحمةٍ وقُدرَةٍ مِنَ الله تعالى

دلالة العطف في ﴿وَمِنَ﴾، و﴿وَمِمَّا﴾:

حسُن الوصل هاهنا دون الفصل لقصد التَّشريك في الحُكم،

(1) السّمين الحلبي، الدرّ المصون: 7/ 262، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 559، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206.

فقد أباح الله للنَّحل أن تبني بيوتها في الجبال والشَّجر وما يبنيه النّاس، ولِما بين أشباه الجُمل الثَّلاثِ مِن تمام المناسبة التي لا يحسُن معها الفصل بينها.

تتعدَّد مساكن النَّحل فتكون في ثلاثة: الجبال والشَّجر والسُّقوف

نوع (اللّام) ودلالتها في ﴿ٱلشَّجَرِ﴾:

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّجَرِ﴾ هي الجنسيَّة، فتشمل جميع جنس الشَّجر، فلم يحرَّم على النَّحل شجرٌ معيَّن، فكلُّ شجرةٍ مظنَّةٌ أن يكون فيها بيتٌ للنَّحل، فينعم النّاس في أقطار الأرض بعسله.

ليست هناك شجرةٌ معيَّنةٌ لاتِّخاذ النَّحل فيها سكنًا ومأوى

غرض التَّعبير باسم الموصول وصِلَتِهِ:

(ما) اسم موصول مبنيٌّ في محلِّ جرٍّ متعلِّق بالفعل الأخير ﴿ٱتَّخِذِى﴾ ومعطوف على الجارِّ الأوَّل ﴿مِنَ ٱلْجِبَالِ﴾[1]، وهو أعمُّ الموصولات وأدخَلُها في الإبهام، وفي التَّعبير به تكثير للنِّعمة.

نِعم الله على عباده كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحصى

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يَعْرِشُونَ﴾:

تدلُّ صيغة المضارع على التَّجدُّد والاستمرار، وفيها وعدٌ لطيفٌ يُطِلُّ من وراء سترٍ رقيق، فما دام النّاس يعرشون فالنَّحل معهم، وقريبٌ منهم، وشرابه بين أيديهم، مستمرًّا باستمرار تعريشهم.

ما دام النّاس يعرشون فالنَّحل معهم

سرُّ العدول في قوله ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ عُدِلَ عن نظم الجُمَل المعطوف عليها إلى التَّعبير بالاسم الموصول وصِلته التي جملتها فعليَّة؛ لإفادة التَّجدُّد؛ وذلك لتجدُّدِ بناء الإنسان للبيوت.

في بناءِ بيوت الإنسان تجدُّد، وفي الجبال والشَّجر ثباتٌ متقارِب

نكتة التَّرتيب في أماكن الاتِّخاذ الثَّلاثة:

ليس للنَّحل بيتٌ في غير هذه الأمكنة: الجبال والشَّجر وبيوت النّاس، وأكثر بيوتها ما كان في الجبال، وهو المتقدِّم في الآية، ثمَّ في

لمّا كانت منافعها شريفةً كانت مساكنها رفيعة

(1) محمود صافي، الجدول: 7/ 349، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 6/ 174.

الشَّجر دون ذلك ثمَّ في الثّالث أقلُّ[1]، وفيه إشارة إلى ترتيب درجات هذا العسَل حسب البيت.

دلالة ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ كُلِي﴾:

لأكل النَّحل مِن كلِّ الثَّمرات كبير فائدةٍ للإنسان في السَّلامة مِنَ الآفات

﴿ثُمَّ﴾ للتَّرتيب الرُّتبيِّ، وممّا يدلُّ على أنَّ أكل الثَّمرات وتكوُّن العسل في بطونه، وإخراجه منها أعلى رتبةً من اتِّخاذها البيوت أنَّ ذلك أعظمُ فائدةً للإنسان، وأنَّ منه قوتَها الذي به بقاؤها[2].

دلالة فعل الأمر ﴿كُلِي﴾:

النَّحل مخيَّرٌ بين الأكل مِنْ كلِّ الثَّمرات أو بعضها

الأمر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾؛ للتَّخلية والإباحة، ولو أُبقِي الأمر على ظاهره لجاز؛ لأنَّه لا يلزم مِنَ الأمر بالأكل مِنْ جميع الثَّمراتِ الأكلُ منها[3].

دلالة حرف الجرِّ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾:

للثمرات أجزاءٌ مأكولةٌ وأخرى متروكة

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ للتَّبعيض؛ أي: كُلِي جُزءًا أو شيئًا من الثَّمرات أو بعض الثَّمرات، وذلك؛ لأنَّها لا تأكل جميع الثَّمرات، بل تأكل نوار الأشجار فقط[4].

نوع (اللّام) ودلالتها في ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾:

النَّحل مباحٌ لها أكل ما تشتهيه

(اللّام) في قوله تعالى: ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ هي التي لبيان الجنس؛ أي: مِنْ كلِّ ثمرةٍ تشتهيها وتتيسَّر لها مرِّها وحلوها، وليس معنى الكلِّ الاستغراق[5].

بلاغة إطلاق ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ على (الزُّهور):

كفل الله للنَّحل غِذاها، وجعل الأزهار مرعاها

الثَّمرات: جمع ثمرة، وأصل الثَّمرة ما تخرجه الشَّجرة من غلَّة، مثل التَّمر والعنبِ، والنَّحلُ يمتصُّ مِنَ الأزهار قبل أن تصير ثمرات،

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 384.
(2) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 385، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4214، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 385.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 406، والخازن، لباب التأويل: 3/ 86.
(5) ثناء الله المظهري، التفسير المظهري: 5/ 354.

فأطلق الثَّمرات في الآية على الأزهار على سبيل المجاز المرسل بعلاقة الأوَّل[1].

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَٱسۡلُكِي﴾:

النَّحلُ في عملٍ دؤوب

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡلُكِي﴾ للتَّعقيب والتَّفريع؛ فظاهرُ العطف بالفاء في ﴿فَٱسۡلُكِي﴾ أنَّه بعَقِيب الأكل، أي: فإذا أكلتِ فاسلكي سُبُلَ ربِّك، أي: طُرُقَ ربِّك إلى بيوتك راجعة، والسُّبُل هي مَسالِكُها في الطَّيَران، فتكون الفاءُ تفريعًا على ما سبق للإشارة إلى أنَّ الله أودَعَ في طبع النَّحل عند الرَّعي التَّنقُّلَ مِن زَهرةٍ إلى زَهرةٍ ومِن روضةٍ إلى روضةٍ.

دلالة التَّعبير بالأمر ﴿فَٱسۡلُكِي﴾:

النَّحلُ مُسَخَّرٌ ومجبولٌ على طاعة الله ﷻ

الأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡلُكِي﴾ للتَّسخير والتَّكوين؛ إذ السَّلك في تلك المسالك ليس فيه لها اختيارٌ حتى تُؤمَر به، فلا بدَّ أن يكون الأمر تكوينيًّا[2].

نكتة التَّعبير بـ (السُّبل) جمعًا:

السُّبل تدلُّ على الكثرة، ولكنَّ النَّحلَ لا تحيد عن بيتها يَمنَةً ولا يَسْرَةً

صيغة الجمع في (السبل) مُشعِرةٌ بالكثرة والتَّنوُّع، فهي تسلك من هذا الجوِّ العظيم، والبراري الشّاسعة، والأودية والجبال الشّاهقة، ثمَّ تعود كلُّ واحدةٍ منها إلى بيتها لا تحيد عنه يَمنةً ولا يَسرة[3].

سرُّ إضافة السُّبل إلى قوله ﴿رَبِّكِ﴾:

الله خالقُ هذه السُّبل، ومسخِّر النّحل لسلوكها

إضافة السُّبل إلى (ربِّك) للإشارة إلى أنَّه هو خالقها وموجِدها[4]، وهو المهيِّئ لذلك، والميسِّر له، والقائم بمصالحها ومعايشه[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 207.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 422.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 385.
(4) طنطاوي، الوسيط: 8/ 189.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 422.

سرُّ التّعبير بلفظ الرُّبوبيّة ﴿رَبِّكِ﴾:

إحسان الله إلى النّحل عظيمٌ

لمّا كان الرَّبُّ هو المتفضِّل بالرِّزق والتَّدبير والإنعام، وكان الله ﷻ هو المُربِّي للنَّحل بهذه النِّعم التي هي تدبير رزقِها وسكنِها، ناسب ذلك أن يُؤتَى بلفظ الرُّبوبيَّة في هذا المقام[1]، وأُضِيفَ لفظُ (الرَّبِّ) إلى ضمير المخاطبة العائد على النَّحل؛ لأنَّ هذا الإنعامَ بالرِّزق وتدبيرِ السَّكن إنَّما يعود على النَّحل ويتعلَّق به.

سرُّ تقييد الفعل بالحال ﴿ذُلُلًا﴾:

وفيما في النَّحل مِن تسخير عجيب صُنعٍ وعظيم تدبيرٍ

كلمة ﴿ذُلُلًا﴾ حالٌ من ضمير المخاطَبة في ﴿فَاسْلُكِي﴾ العائد على النَّحل، وفيه مزيد إظهارٍ للنِّعمة بتقييدها بكونها مُذلَّلة.

دلالة موقع ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾:

في النَّحل آياتٌ عظيمةٌ كامنة

فُصِلَتْ جملة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنَّها مُستَأنَفة استئنافًا بيانيًّا؛ فكأنَّه قيل: ما الغاية مِن هذا التَّكوين المُعجِب وهذه الأوامر؟ فجاءت الآية كالجواب: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، وفيه تَنبيهٌ على العِبَر المذكورة، وإرشادٌ إلى الآيات العظيمة الكامنة في النَّحل، الذي هو مخلوقٌ ضعيف[2].

دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَخْرُجُ﴾:

تجدُّد خروج العسل مِن النَّحل رحمة من الله بالنّاس

أوثِرَ مَجيء الفعل ﴿يَخْرُجُ﴾ على صيغة المضارع للدَّلالةِ على تجدُّد خروج العسل من النَّحل، وفي خروجه مُتجدِّدًا متكرِّرًا لا ينقطع - نعمةٌ أُخرى، يستديم به الإنسانُ تمتُّعَه بهذه النِّعمة[3].

سرُّ إسناد ﴿يَخْرُجُ﴾ إلى ﴿شَرَابٌ﴾:

المبالغة في بيان النِّعمة داعيةٌ إلى وفرة الشُّكر

فيه إيذانٌ بعظيم قدرته ﷻ بحيث إنَّ ما يُشعر بإرادة الشَّيء

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 11/ 198.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 125، والقاسمي، محاسن التأويل: 6/ 385، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206.

كافٍ في حصوله[1]، وفيه مُبالغةٌ في إظهار النِّعمة كأنَّه يخرج بذاته.

سرُّ الالتفات في ﴿بُطُونِهَا﴾ من الخطاب إلى الغيبة:

التفاتٌ لجذب الانتباه

في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ التفاتٌ عُدِل فيه عن خطاب النَّحل إلى الكلام مع النّاس لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صُنع الله تعالى التي هي موضعُ عِبرتهم بعد ما أُمِرت بما أُمِرت[2]، ولو جاء الكلام على النَّسق الأوَّل لقيل: من بطونِكِ، وإنَّما صرف الكلام هاهنا مِن الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي لفت انتباههم إليه، ولو قال: مِن بطونكِ لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخافٍ عن نَقَدَةِ الكلام[3].

دلالة حرف الجرّ في ﴿مِنْ بُطُونِهَا﴾:

ابتداء خروج العسل يكون من بطون النَّحل، وفي بطونها تشكُّله

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنْ بُطُونِهَا﴾ هو ابتداء الغاية، وقد ذَكر سبحانه مبدأ الغاية الأولى وهي البطون، ولم يذكر سبحانه مبدأ الغاية الأخيرة، والجمهور على أنَّه يخرج من أفواهها[4]، فابتداء خروج العسل إنَّما يكون من البطن؛ "لأنَّ الاستحالة تقع في بطونها؛ ولأنَّه يخرج من بطونها إلى أفواهها، ثمَّ تسيل من أفواهها كهيئة الرِّيق"[5]، وكلمة ﴿بُطُونِهَا﴾ تشير إلى مكان تشكُّل العسل في النَّحلة؛ أي: في معدتها التي تقع في بطن النَّحلة[6].

سرُّ التَّعبير بالتَّأنيث في ﴿بُطُونِهَا﴾:

كلُّ نحلةٍ تؤدِّي عملَها من دون فتورٍ ولا تمرُّد

عاد الضَّمير على النَّحل بلفظ المُفرد المُؤنَّث: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ مع أنَّ (النَّحل) اسمُ جمعٍ مذكَّر، وذلك أنَّ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 422.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 126، والآلوسي، روح المعاني: 7/ 422.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 332.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 422.
(5) السمعاني، التفسير: 3/ 186.
(6) الهلال، الثري الجامع: 6/ 187.

المُراد بالنَّحل هو (جماعة النَّحل) أو النَّحل في جماعته، من حيث كان النَّحل مِنَ الكائنات الحيَّة التي لا تعيش إلّا في نظامٍ جماعيٍّ، تتألَّف منه وحدةٌ منتظمةٌ، أشبه بالوحدات الإنسانيَّة، في أرقى المجتمعات، حيث تتوزَّع أعمال الجماعة على أفرادها، وحيث يؤدِّي كلُّ فردٍ ما هو مطلوبٌ منه في غير فتورٍ أو تمَرُّد، ومِن حصيلة العمل الذي تعمله هذه الجماعة، ويشارك فيه ذكورها وإناثها، وجنودها وعمّالها، والملكة ورعيَّتها، ومن هذه الحصيلة يتكوَّن الشَّراب المُختلِف الألوان، الذي فيه شفاءٌ للنّاس[1].

غرضُ تقديم ﴿مِنۢ بُطُونِهَا﴾:

قُدِّم شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ﴾ على الفاعل لغرض الاهتمام بالمُقدَّم ولفت الأنظار إليه، إذ المقصود التَّنبيه على أنَّ هذا الشَّراب العظيم النَّفع البالغ الفائدة المُختلِفة ألوانُه وطعومه المحتوي على شفاءٍ للنّاس إنَّما يخرج من بطون هذه الحشرة الصَّغيرة، فكيف استحال الرَّحيق في بطونها عسلًا لذيذًا؟ إنَّها قُدرة القدير ﷻ.

استحالة الرَّحيق في بطون النَّحل عسلًا لذيذًا مِن قُدرَة القدير ﷻ

سرُّ التَّعبير عن العسَل بالشَّراب:

عُبِّر عن العسَل باسم الشَّراب دون العسل في قوله تعالى: ﴿شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ لما يومئ إليه اسم الجنس من معنى الانتفاع به، وهو محلُّ المَنّة، وليرتَّب عليه جملة: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾، وسمِّي شرابًا لأنَّه مائعٌ يُشرَب شربًا ولا يمضغ[2].

العسَل شفاء لكثيرٍ من الأدواء

غرض تنكير ﴿شَرَابٞ﴾:

جاءت كلمة ﴿شَرَابٞ﴾ نكرةً لإفادة التَّكثير، وهو المنصوص عليه في الآية نفسها، بقول الله تعالى: ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾، فهو - وإنْ سُمِّي

تنكيرٌ للتكثير

(1) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 7/ 324.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 209.

جميعُه عسلًا - فإنَّ ألوانَه مختلفة، وطعومَه كذلك مختلفة، وهذا يدلُّ على عظيم قدرة اللّه ﷻ أن يخرج هذا الشَّراب العظيم مختلِف الألوان والطُّعوم من هذه الحشرة الضَّعيفة.

دلالة موقع قوله ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾:

خـروج العسل مـن حـشـرةٍ ضعيفةٍ دليلٌ باهرٌ على قدرة الله

قوله تعالى: ﴿مُّخۡتَلِفٌ﴾ صفةٌ لـ﴿شَرَابٌ﴾، وهو اسم فاعلٍ عاملٌ عمل فعله المضارع؛ أي: (تختلف)، وقوله تعالى: ﴿أَلۡوَٰنُهُۥ﴾ فاعلٌ لاسم الفاعل العامل ﴿مُّخۡتَلِفٌ﴾ مرفوع وعلامة رفعه الضمَّة الظاهرة[1]، وفي اختلاف ألوانه - الدّالة على اختلاف طعومه - مع خروجه من هذه الحشرة الضَّعيفة دليلٌ باهرٌ على قدرة اللّه تعالى وعظيم منَّته سبحانه على خلقه أن جعل غذاءهم - طعامًا وشرابًا - مختلف الألوان والطُّعوم.

دلالة موقع ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾:

تـعـديـد نـعـم الـشَّيء يقتضي الـتَّـتـابـع لا العطف

فُصِل قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾ عن سابقه لكونه واقعًا في محلِّ رفع صفةٍ ثانيةٍ لـ﴿شَرَابٌ﴾[2]، فهو بمنزلة تعديد نعم الشيء الواحد، فحسن الفصل بينهما لئلّا يوهم الوصل خلاف المراد، كأن يُتوهَّم أنَّ الخارج من بطون النَّحل على أصناف: منها ما هو مختلفٌ ألوانه، ومنها ما فيه شفاءٌ للنّاس.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿فِيهِ﴾:

جعل في العسل شفاء الأسقام؛ ليتدبر أولو الأفهام

في قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ﴾ قُدِّم المسند، وهو شبه الجملة الواقع خبرًا على المسند إليه، وهو ﴿شِفَآءٞ﴾ لأنَّه الأصل لمجيء المسند إليه نكرةً، ولا مسوغ للابتداء بها إلّا تقدُّم شبه الجملة عليها مع الاهتمام بالمقدَّم لما فيه من تنبيهٍ على أهميَّة الأخذ بأسباب الشِّفاء، فقدم سبب الشِّفاء الذي أودعه في العسل على الشِّفاء نفسه لإرشاد الناس إلى هذه النِّعمة الكامنة للاعتبار بها، والاستفادة بما فيها.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 332، وبهجت صالح، الإعراب المفصل: 6/ 175.
(2) بهجت صالح، الإعراب المفصَّل: 6/ 175.

دلالة جعل الشِّفاء مظروفًا ﴿فِيهِ شِفَآءٌ﴾:

الظَّرف يكون أوسع من المظروف غالبًا

جُعِل الشِّفاء مظروفًا في العسل على وجه الظَّرفيَّة المجازيَّة - وهي الملابسة - للدَّلالة على تمكُّن ملابسة الشِّفاء إيّاه، وإيماءً إلى أنَّه لا يقتضي أن يطَّرد الشَّفاء به في كلِّ حالةٍ من أحوال الأمزجة، أو قد تعرض للأمزجة عوارض تصير غير ملائمٍ لها شرب العسل، فالظَّرفيَّة تصلح للدَّلالة على تخلُّف المظروف عن بعض أجزاء الظَّرف؛ لأنَّ الظرف يكون أوسع من المظروف غالبًا، فقد شبَّه تخلُّف المقارنة في بعض الأحوال بقلَّة كميَّة المظروف عن سعة الظَّرف في بعض أحوال الظُّروف ومظروفاتها، وبذلك يبقى تعريف ﴿لِّلنَّاسِ﴾ على عمومه، وإنَّما التَّخلُّف في بعض الأحوال العارضة، ولولا العارض لكانت الأمزجة كلُّها صالحةً للاستشفاء بالعسل[1].

غرض تنكير ﴿شِفَآءٌ﴾:

تنكيرٌ جاء للتّعظيم

جاءت كلمة ﴿شِفَآءٌ﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ لغرض التَّعظيم، أيْ: فيه شفاءٌ عظيمٌ للنّاس، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ نعمة الشَّفاء التي أودعها الله في العسل نعمةٌ عظيمةٌ لشديد حاجة النّاس إلى ما فيه شفاءٌ لهم من الأمراض التي تعرض للإنسان ولا يكاد يسلم منها أحد، فناسب شدَّة احتياج النّاس لما فيه شفاؤهم الإتيان بكلمة ﴿شِفَآءٌ﴾ نكرةً لتعظيم هذه النِّعمة[2]، وتنكير ﴿شِفَآءٌ﴾ في سياق الإثبات لا يقتضي العموم، فلا يقتضي أنه شفاءٌ من كلِّ داءٍ، لكنَّه شفاءٌ عظيم[3].

معنى حرف الجرِّ في ﴿لِّلنَّاسِ﴾:

تنوُّعُ المصادر وتعدّد الطرائق منّةٌ من مِنَن الله العظيمة وآلائه الجسيمة

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِّلنَّاسِ﴾ تفيد الاختصاص[4]، إذ المعنى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 209.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4214.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206.
(4) المرادي، الجنى الداني، ص: 96.

أنَّ ما أودعه الله تعالى في العسل من الشِّفاء إنَّما جعله الله كذلك لأجل النّاس، فكما سخَّر لهم ما في السَّماوات وما في الأرض، وكما نوَّع لهم في مصادر الطَّعام كذلك نوَّع لهم في مصادر الشَّراب، وعدَّد لهم طرق الشِّفاء، وتلك من منن الله العظيمة وآلائه الجسيمة على عباده.

معنى لام التعريف في ﴿لِّلنَّاسِۗ﴾:

مجيء (اللّام) يفيد العموم البدليّ

معنى (اللّام) في قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ﴾ للعموم، وعموم التَّعريف بأل في هذه الكلمة لا يقتضي العموم الشُّمولي، الذي يستغرق ويشمل كُلَّ فردٍ بل لفظ ﴿لِّلنَّاسِۗ﴾ عمومه بدليٌّ[1].

دلالة موقع ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

استئنافٌ للبيان والتَّوضيح

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ جملة مستأنَفة استئنافًا بيانيًّا لتنزيلها منزلة سؤالٍ مقدَّر، فكأنَّه قيل: هل فيما سبق ذكرُه آية؟ أو: في ذلك آية لمَن؟! فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وهذا مما يحسِّن الإتيان بمؤكِّدات[2].

دلالة توالي المؤكّدات في فاصلة الآية:

قـوارعُ السَّمع مطارقُ القلب، تـوقـظـه مـن سباته، وتزيل عنه غشاواته

في هذه الجملة الكريمة مجموعة من المؤكِّدات هي: الحرف النّاسخ ﴿إِنَّ﴾، واسمية الجملة، واللّام في قوله: ﴿لَآيَةً﴾، ووقوع الجملة موقع الاستئناف البيانيِّ.

هذه المؤكِّدات كأنَّها قوارع توقظ القلوب من غفلتها، وتضعُ الأيدي على الحقيقة الدّامغة أنَّ في هذه الأمور المتقدِّم ذِكرها آيةً دامغةً وبراهينَ ساطعةً لمَن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد، وقد حَسُن توالي هذه المؤكِّدات لمّا كان الكلام موجَّهًا إلى منكرين، لإقامة الحُجَّة عليهم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 206.
(2) الصعيدي، بغية الإيضاح: 2/ 295.

غرض تقديم شبه الجملة ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾:

في إخراج العسل من بطون النَّحل عِظَةٌ للذين يتفكَّرون

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ قُدِّم المسند، وهو شبه الجملة، على المسند إليه، وهو قوله تعالى: ﴿لَآيَةً﴾ لغرض التَّنبيه على أنَّ المقدَّم هو مناط الاستعظام ولفت النَّظر إليه.

وفيها كذلك تخصيص للمتقدِّم، فكأنَّه قيل: إنَّ الآية التي يتَّعظ بها الذين يتفكَّرون إنَّما هي في تسخير النَّحل للإنسان، فكأنَّه نزَّل هذه الآية المفردة منزلة جميع الآيات، ليكون مَن كفر بها أو أعرض عنها كمَن كفر بجميع الآيات، وإنَّما خُصِّصت هذه الآية بهذا لوضوحها وجلائها فلا يكاد ينكرها أحد.

غرض التّعبير ﴿ذَٰلِكَ﴾ دون الضّمير:

آيات الله وآلاؤه عظيمةٌ لا يُعرض عنها إلّا أصحاب النُّفوس الذَّميمة

أوثر التَّعبير باسم الإشارة دون الضَّمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ ليكون محلُّ الآية جميع المذكورات مِن تسخير النَّحل، وإلهامه سبل الحياة والغذاء، وطرق التَّعشيش والبناء، وإخراج العسل من بطونه مختلفًا ألوانه، وجعله شفاءً للنّاس... إلخ، والتَّعبير باسم الإشارة في سياق المدح دليلٌ على التَّعظيم، وأمّا عن نكتة مجيئه للبعيد، فلتعظيم المشار إليه، وأنَّه قد بلغ غايةً في العلوِّ والتَّعظيم سامقة[1].

معنى اللّام في ﴿لَآيَةً﴾:

حكمةٌ بالغةٌ فما تغني النّذر

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَآيَةً﴾ هي اللّام المُزحلَقَة المفيدة للتَّوكيد[2]، وإنَّما حَسُن هذا التَّوكيد لكون الكلام موجَّهًا إلى مخاطَبين منكرين، فأُقيمت عليهم الحُجَّة به.

غرضُ تنكير ﴿لَآيَةً﴾:

إخراج العسَل من بطون النَّحل من عجيب قُدرته، ومن دلائل رحمته

مِن أغراض التَّنكير: التَّعظيم[3]، وهو المقصود في هذا السِّياق،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 413.
(2) محمود صافي، الجدول: 7/ 346.
(3) المراغي، علوم البلاغة، ص: 127.

فإنَّ في إخراج العسَل المُختلِفة ألوانُه وطعومُه من بطون النَّحل آيةً عظيمةً وجليلةً، وبغرس الإيمان في القلوب كفيلة، ودلالة واضحة تدلُّ على وحدانيَّة الله سبحانه وقدرته وحكمته[1].

دلالة حرف الجرِّ في قوله ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

اللّام جاءت للاختصاص

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِّقَوْمٍ﴾ تفيد الاختصاص[2]، وقد وصفهم الله بالتَّفكُّر الذي هو إعمال الفِكر في دلائل القُدرة وبراهين الوحدانيَّة المُؤدِّي إلى المطلوب؛ فلذلك خُصِّص في الآية دون غيره، وإنَّما خصَّ كونها آيةً لهم؛ لأنَّ غيرهم لا ينتفعون بها.

نكتة تنكير ﴿لِّقَوْمٍ﴾:

مَن كان مطبوعًا على الاعتبار والاتِّعاظ، هُدِي إلى سواء السَّبيل

ذكر لفظ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ دون أن يُقالَ: للذين يتفكَّرون أو للمتفكِّرين أو المتدبِّرين؛ لأنَّ إجراء الوصف على لفظ ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يومئ إلى أنَّ ذلك الوصف سجيَّةٌ فيهم، ومِن مكمِّلات قوميَّتهم، فإنَّ للقبائل والأُمم خصائص تميِّزها وتشتهر بها، فالمعنى: إنَّ في ذلك آياتٍ للذين سجيَّتُهم الاعتبار والاتِّعاظ، وهو تعريضٌ بأنَّ الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليس تفكيرهم بصفةٍ راسخةٍ ولا هو ملَكةٌ لهم[3]، وجيء به نكرةً لإفادة العموم، فإنَّ أيَّ قوم اتَّصفوا بهذه الصِّفة سيصلون إلى هذه النَّتيجة، وهي الإقرار والاعتبار.

دلالة المضارع ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ مادَّةً وصيغةً:

استخراج العِبرة بالفكرة في الصَّنعة اللَّطيفة مع البنية الضَّعيفة

أوثِر اختيار وصفِ التَّفكُّر هنا بمعنى يعتبرون؛ لأنَّ الاعتبار بتفصيل ما أجمَلَته الآية في نظام النَّحل محتاجٌ إلى إعمال فِكرٍ دقيقٍ، ونظرٍ عميق، ومِنَ العِبرة في النَّحل إنصافُ النَّظر وإلطاف الفكر في عجيب أمرها، فيشهد اليقين بأنَّ مُلْهِمَها الصَّنعةَ اللَّطيفةَ

(1) طنطاوي، الوسيط: 8/ 182.
(2) المرادي، الجنى الداني، ص: 96.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 2/ 89.

مع البنية الضَّعيفة، وحِذقها باحتيالها في تفاوت أحوالها هو الله ﷻ[1]، ولمّا كانت نعمةُ إخراج العسل مِنَ النَّحل مُتجَدِّدة، ناسب ذلك أن يكون التَّفكُّر في هذه النِّعمة مُتَجدِّدًا ومتكرِّرًا بحسب تجدُّدِها وتَكرارها، فكلَّما جَدَّتْ نِعمة، لزمها تَفكُّرٌ وتَدبُّرٌ فيها، واعتبار بها.

دلالة التَّغاير في ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾:

تناسَبَ كلُّ ختامٍ مع ما سبَقَهُ من نظمِ أشرفِ الكلام

جاء ختام الآية الأولى بقوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ توبيخًا لمَن أنكر البعث واستبعد الحياة الثّانية، فكأنَّه قيل له: إنَّ ذلك قبل التَّدبُّر مقرَّرٌ في أوَّل العقل حتى إنَّ مَن يسمعه يعترف به، وهو أنَّ الأرض الميتة يحييها الله تعالى بماءِ السَّماء فتعود حيَّةً بنباتها، فكذلك لا يستنكر أن يُحيي الخليقة بعد موتها، كما أنَّ إنزال الماء مِن السَّماء وإحياء الأرض بسببه أمر مشاهَدٌ محسوس، فمنكر ذلك فاقد الحِسِّ، وإنَّما خصَّ بالذِّكر حسَّ السَّمع لأنَّ لفظ القرآن المنبِّه على هذه الآية مسموع.

وأمّا اختصاص الثّانية بقوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ فلأنَّه قال: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾، وقد علمنا أنَّ الفرث والدَّم لا ينعصر منه ما يسوغ للشّارب، وأنَّ الدَّم أحمر فيحوَّل بقدرة الله تعالى لبنًا أبيض طيِّبًا بعدَ بُعده ممّا استحال عنه في اللَّون والطِّيب، ففيه عِبرةٌ لمن اعتبر، ولمّا قرن إليه ثمرات النَّخيل والأعناب وما يتحوَّل من عصيرهما إلى ما يستلذُّ ويجلب ما يسرُّ سوى طيب رطبها ويابسها احتاج ذلك إلى تدبُّرٍ يُعقَل به صنعُ صانعٍ لا يقدر غيره عليه، فلذلك قال في الثّانية: ﴿يَعْقِلُونَ﴾.

وأمّا اختصاص الثّالثة بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ فلأنَّ التَّفكُّر استعمالُ الفكر حالًا بعد حال، وفي النَّحل عجائب من صُنع الله

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 140، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 210.

تعالى تتبع كلُّ أعجوبةٍ أعجوبةً من طاعتها لرئيسها، ثمَّ أشكال ما تبني من بيوتها التي لو حاول الإنسان مثلها بأمثلةٍ يحتذيها وتقديراتٍ يقدِّمها لتعذَّر عليه، ثمَّ إنَّها تجني من أزاهير النَّبات والأشجار ما هداها إليه إلهام اللّٰه تعالى لها وأرشدها إليه، ثمَّ تَقْلِس ما يجتمع في جوفها عسلًا، فهذه أشياء تقتضي فكرًا بعد فكرٍ، ونظرًا بعد نظرٍ، فلذلك عُقِّبت بقوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

(1) الإسكافي، درَّة التنزيل: 1/ 850، والنيسابوري، غرائب القرآن: 4/ 282.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»